النسيان فى نظر التحليل النفسى

للآنسة فائزة على كامل

— تتمة —

عرضنا نظرية «فرويد» الخاصة بالنسيان فى المقالين السابقين وهى كما شاهدنا مملوءة بالآراء التى لا يستطيع أحد أن ينكر ما تمتاز به من الجدة والعمق . فقد طبعت النسيان بطابع ديناميكى وأقامته على أسس نفسية لم تخطر ببال أحد من قبل . ولكن هذا لايمنع من أن تكون موضع نقد ، فالدراسة الدقيقة لها تبين أنها تثير مشكلات كثيرة اعترف بها أنصار فرويد أنفسهم .

لقد كان فرويد متطرفا فى قوله : كل تلك الأفعال البسيطة التى تأتيها كفلتات اللسان وأخطاء السمع ونسيان الأسماء . الخ تقوم على الصراع النفسى والكبت . إنه بذلك جعل علتها هى علة الأمراض النفسية . فإذا كان ذلك كذلك فلابد أن يتساءل الفرد : كيف يمكن أن تكون العلة واحدة وتؤدى إلى حالة مرضية مرة ولاتؤدى إلى ذلك مرة أخرى ؟! واجه « رولاند دالبيز » هذه المشكلة ، ووجد أنه لابد من تعديل نظرية فرويد فقال إن تلك الأفعال تحتل المستويات السطحية من البناء النفسى.. فالذات تعرف الإثارة المكبوتة وهى شاعرة بنضالها ضدها . بعبارة أدق نستطيع أن نقول إن هذه المؤثرات التى تكون الصراع موجودة فى مستوى « ماقبل الشعور »[1] وهى فى حالة « قمع » (رفض إرادى شعورى) أكثر منها فى حالة « كبت » (كف لاشعورى أتوماتيكى) .

كذلك أوضح « إرنست جونز » أنه ستنتج نتيجتان بناء على آراء فرويد : الأولى أنه ان يكون ثمت وجود للحالة العقلية العادية بمعنى أن كل فرد يصدر عنه مايدل على نقصان فى الوظيفة العقلية يتجلى فى مادة مفصولة مكبوتة : وهذه العملية هى واحدة سواء لدى الأفراد الأقوياء أو المرضى بأمراض نفسية. وإذا أنعمنا النظر وجدنا أن تلك المادة المكبوتة هى نفسها التى ينتج منها العصاب . الثانية : أنه لايوجد كما يجب حد فاصل بين الصحة العقلية والحالة المرضية . وسيكون التمييز بين هاتين الحالتين قائما على أساس اجتماعى ، فإذا أدى الصراع إلى تعطيل القدرة الاجتماعية فإن الحالة تكون عصابا ، أما إذا لم يحدث هذا فتكون بإزاء شذوذ أو خلق شخصى .. الخ

فى الواقع أن تفسير فرويد للنسيان فى المجال العادى لا يمكن قبوله بسهولة . فمثلا يذكر « بير Pear » أنه نسى مرة مظلته بعد أن ألقى محاضرة فى بلدة ما ، ولم يجد أى تفسير شخصى لذلك النسيان كأن يقال تبعاً لفرويد إنه كان مكرها على إلقاء هذه المحاضرة .. الخ . إن السبب الوحيد هو عدم الانتباه . ويعترف « بير » بأنه إن كان حقا هذا التفسير لايوضح لنا العلة فى نسيان المظلة وعدم نسيان أى شىء آخر إلا أنه لايمكن إنكار أن هذه العمليات الذهنية من عدم انتباه وتشتت الفكر .. الخ تساعد على النسيان كما تشجع الظلمة والوحدة اللص على السرقة

وبالمثل يفند « دوجاس Dugas » أقوال فرويد فيتذكر أن

---

(١) قال فرويد بثلاث مستويات فى النفس : الشعور conscious وماقبل الشعور preconscious واللاشعور unconscious

وعلاقات البشرية . فإذا نفذ الفرد عقيدته ، فهو فى الوقت ذاته يؤدى واجبه — بهذا التنفيذ — كفرد فى جماعة ، وفرد فى دولة ، وفرد فى إنسانية . بلا تعارض بين نشاطه فى هذه المجالات جميعا

والنظام الذى يقوم على أساس عقيدة ، ويستمد منها وجوده وحدوده ، هو نظام أقوى وأعمق وأقدر على المقاومة؛ لأنه يستمد قوته من داخل النفس ومن أعماق الضمير ، ومن سلطان لايعلوه فى النفس سلطان

سيد قطب

« نيوتن » نسى لزمن معين اكتشافه الخاص بحساب التفاضل ، وكان « لينيه Linè » ينسى أحيانا أنه المؤلف أثناء انهماكه في قراءة مؤلفاته فكان يصيح قائلا : ما أجمل هذا ..! ليتني أستطيع كتابة شيء مثله ..! ويقول « بسكال » إننا لو أجرينا له امتحاناً فجأة دون سابق إنذار في محتوى مؤلفاته فإنه ربما يفشل في الإجابة . فلو أخذنا برأي « فرويد » فإن مثل هذا النسيان سيرد إلى عقدة مهنية ولكنه واضح أنه تفسير غير مقنع . فهنا كما يقول « دوجاس » يجب الرجوع إلى طبيعة الأشياء ، فالنفس تستبعد منتجاتها الناضجة أو الأفكار والمشاعر التي لا تجد فيها ما يثير اهتمامها. إنها تنساها ولا تبالي بها ، فهي تحاول التحرر من الأفكار كما تتحرر من الأهواء . ويقول « جيته » إنه لا يكترث بالمؤلف الذي انتهى ، فهو لا يشغله بعد ذلك لأنه سيتوق إلى شيء جديد . فالمؤلف يصطنع حالة عقلية معينة لكل مؤلف من مؤلفاته . فطبيعي أن يترك هذه الحالة بانتهاء موجبها . ومثله كمثل الممثل الذي يتقمص شخصيات مختلفة تبعاً للأدوار التي يقوم بها . فما لا شك فيه أن مثل هذا النسيان أمر طبيعي . أما النسيان الذي يكون فيه فقدان دون تعويض ، فتختفي الأفكار اختفاء تاما وتعرض وحدة الذات للخطر ، ويحطم الاتزان العقلي .. ويكون هذا بداية لاضطراب نفسي .. فهنا هو النسيان المرضي

في الواقع إن تطرف « فرويد » يرجع إلى أنه يقيم آراءه على حتمية صارمة . فما يحدث في النفس ليس بظواهر منعزلة أو عرضية إنما هو ظواهر تتصل بظواهر سابقة عليها وأخرى لاحقة بها . إنه لا يوجد محل للصدفة في المجال الجسمي؛ وكذلك يجب أن يكون الحال في الميدان العقلي . لهذا لا يقتنع فرويد برد بعض الأفعال إلى العادة؛ ولا يعترف بعلل عدم الانتباه والسهو وما شابه ذلك . ولكننا شاهدنا ما يثيره هذا المبدأ من اعتراضات وما يؤدي إليه من مآخذ

وهكذا إننا لا نستطيع أن نتغاضى عن أنه يوجد نسيان يعد تبسيطا للشعور أو تقليلا من محتويات الذات وهو نسيان مادي مفيد لأنه يصون النفس ويحميها من تعدد التأثيرات ويقيها شر التشتت فيجعلها تحافظ على وحدتها . فليس كل نسيان اسم أو كلمة يرجع إلى الكبت ، وليست كل فلتة لسان ناتجة عن صراع نفسي دفين إن النسيان والتذكر وجهان لوظيفة عقلية واحدة . فالنسيان هو الذي يسمح بالانتقال من حالة ذهنية إلى أخرى . فإن أنفسنا تتبلور في أنظمة مختلفة من الأفكار والتصورات فينتج النسيان عند استبدال نظام بآخر . فإذا اختفت ذكرى معينة فإنما تختفي باعتبارها مجموعة من الأفكار ليس لها ضرورة .. ومن ثم انسحبت من الطريق لتفسح المجال لذكرى أخرى . إن الفكر العادي الكامل هو الذي لا ينسى شيئا يجب أن يحتفظ به ، ولا يحتفظ بشيء يجب أن ينساه

فائزة علي فاضل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع إحدى عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد